شعر
أبي الفَتْح مَنْصُور البَيْني

(... - ٤١٥هـ)

جَمَعَه وحَقّقَه إبراهيم صالح

الحمد لله حمداً يليق بجلاله، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمد وآله، وبعد(*):

فقد كانت كلمة أُستاذنا الدكتور شاكر الفحَّام[1] - في تصحيح التَّصحيف الحاصل بين كلمتي «البيني و البُسْتيّ» في مطبوعتي «اليتيمة والعُمدة» - حافزاً مهماً في كتابة هذا البحث المتواضع.

لقد كنتُ - ولا أزالُ - شديد الولوع بآثار الثَّعالبي، وبخاصة بعد أن عملتُ في تحقيق كتابين من مؤلفاته المهمَّة، هما «التَّوفيق للتَّلفيق»[2] وموسوعته العظيمة «ثمار القلوب في المضاف والمنسوب»[3].

(*) الشكر الجزيل لأستاذنا الدكتور شاكر الفحام، فقد كانت ملاحظاته وتوجيهاته خير معين على استقامة هذا البحث؛ جزاه الله خيراً.

(١) في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد ٦٦ ج٣ ص ٥٧٦. [وانظر مج ٥٨، ج ٣ ص ٥٥٨ رقم (١)].

(٢) صدرت طبعته الأُولى بين مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٣م، وطبع ثانيةً في دار الفكر بدمشق ١٩٩١م.

(٣) صدرعن دار البشائر بدمشق ١٩٩٤م.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وكنتيجة طبيعيَّة لهذا الاهتمام فقد كنتُ أُكثر من الرُّجوع إلى «يتيمة الدَّهر» صفحةً صفحةً، وسطراً سطراً؛ وربَّما كان مَرَدُّ ذلك إلى انعدام الفهرسة في تلك المطبوعة.

وكنتُ أمرُّ على ذِكر أبي الفتح البُسْتيّ في موضعين(٤) ـ ولا أرى من المحقِّق تعليقاً ـ دون أن تُثير هذه الظاهرة في نفسي شيئاً يُذكر؛ ولم أُعنَ بالبحث عن ذلك لعلمي أن الكتاب أصبح بحاجةٍ ماسَّةٍ إلى تحقيقٍ جديدٍ، وعودةٍ إلى مخطوطاتٍ جديدةٍ، وأن بيان هذا الأمر من مهمَّات المحقِّق المنتظر.

وتاقت النَّفس ـ بعد كلمة الدكتور ـ إلى مزيدٍ من البحث والاعتناء بهذا الشاعر الجديد في غير كتاب «المُغرب» لابن سعيد، الذي استقى منه أُستاذنا مادَّة كلمته.

وبعد لأْيٍ وجهدٍ وقفتُ عليه في مصادر خمسةٍ؛ أقدمُها كتاب «أخبار مصر» للأمير المُسَبِّحيّ المتوفى سنة ٤٢٠هـ، وثانيها «يتيمة الدَّهر» لأبي منصور الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩هـ، وثالثها «العُمدة في محاسن الشعر وآدابه» لابن رشيق القيروانيّ المتوفى سنة ٤٥٦هـ، ورابعها «المُغرب في حُلَى المَغرب ـ قسم مصر» لابن سعيد الأندلسيّ المتوفى سنة ٦٨٥هـ. وخامسها «اتِّعاظ الحُنَفا بأخبار الأئمَّة الفاطميِّين الخُلَفا» لتقيّ الدِّين المقريزي المتوفى سنة ٨٤٥هـ.

وكان من جميل صُنع الله عزَّوجلَّ وجليل حِكمته أن ألهم الأمير المُسَبِّحيّ ذِكر عددٍ من شعراء العصر الفاطميّ، واختيار بعض قصائد من أشعارهم في المجلَّد الأربعين من تاريخه الكبير «أخبار مصر»، وذلك بعد أن

(٤) مرَّة بين شعراء الشام ومصر والمغرب ١/٤٢٩، وثانية بين أهل بُست وسجستان، في ٤/٣٠٢.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قطع سَيل المعلومات التاريخية، فقال:[٥] «لمَّا انتهينا من التَّاريخ إلى هذا المكان، واجتمع عندنا قطعةٌ من أشعار المُحْدَثين في زماننا هذا، وكانت العادة قد جَرَت فيما قَدَّمناه من قصِّ التَّاريخ أن نذكر شعر كلِّ شاعرٍ في أثرِ ذِكر ميتتهِ وبعقب شرح مَنِيَّتِهِ؛ وخِفنا من عوارض الأقدار، وحوادثِ اللَّيل والنَّهار، التي تجري بأحكام باريها، وبإرادة الله تعالى فيها، ممَّا لايدفعه حَذَرٌ، وليس إلى غير الله منه مَفرّ، رأينا أن نُوردَ هاهنا مايحصلُ عندنا من أشعار الأَحياءِ من المِصريِّين، والباقين في زماننا من المُحْدَثين، ليحتوي كتابُنا عليها، وتزولَ الظُّنون فيها».

ثم تجلَّت حكمته ـ سبحانه ـ في إبقاءِ هذا المجلَّد، ونجائه من عوامل الزَّمن، حتى تمَّ تحقيقه ونشره بحمد الله[٦].

والأمير المُسَبِّحيّ هو الوحيد الذي اختار لأبي الفَتْح البِينيّ قصائد مطوَّلةً، بينما نقل الثعالبيُّ عن محمد بن عمر الزَّاهر[٧] قصيدةً اشترك في نقلها مع المُسَبِّحيّ، ومقطوعتين جديدتين، وبيتاً اشترك في روايته مع ابن رشيق وابن سعيد الأندلسي[٨].

---

(٥) أخبار مصر، للمسبّحي ص٦٢.

(٦) طبع في مصر مرتين، مرَّة بتحقيق وليم ميلورد، وصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م؛ومرَّة بتحقيق د. حسين نصار وأيمن فؤاد السَّيِّد ـ في جزأين ـ وصدر عن المعهد الفرنسي بالقاهرة.

(٧) ترجم له الثعالبي في اليتيمة ٤/٤١٥ فقال: أَبو علي محمد بن عمر البلخيّ الزَّاهر: كان فارق بلدته في صباه، وركب الأَسفار إلى العراق والشام، وتلقب بالزَّاهر مقتدياً بقوم من الشعراء تلقبوا بالنَّاجم والنَّاشي... ثم كرَّ إلى خراسان، وأَلقى عصاه بنيسابور، وتكسَّب بالشعر، واستكثر منه... .

(٨) وقد دخلت اختيارات الثعالبي جميعاً ديوان أَبي الفتح البُسْتيّ ! !. انظر التخريج.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وكان عمل ابن رشيق مُنْصَبّاً على نقدِ بيتٍ واحدٍ من شعره[٩]، هو البيت نفسه الذي نقله ابن سعيد عن القرطيّ.

أما المقريزيُّ فقد كان واضحاً نقلُهُ عن المُسَبِّحيّ واتكاؤُه عليه، دون تصريحٍ منه بذلك

* * *

البَيْني في المصادر:

وشاعرنا ـ كما ذكره المُسَبِّحيّ[١٠] ـ هو: **أبو الفتْح، منصور ابن** ـ وهنا تركَ المؤلِّف فراغاً يتَّسعُ لكلمةٍ واحدةٍ، ريثما يحصل على اسم أبيه ويثبتُه، ولكن ذلك لم يحصل، فاستأنف الكلام وقال: ـ **المعروف بالبَيْنيّ.**

إذن هو أبو الفتح البَينيّ، واسمه منصور، وليس كما ورد في مطبوعة «المُغرب» لابن سعيد: أبو الفتح منصور بن البَيْنيّ. دون أن ينتبه ـ أو ينتبه محققوه ـ إلى الفراغ بين (بن) و (البَيْنيّ).

وهذه النسبة (البَيْنيّ) ضبطها السمعانيّ بفتح الباء دون أن يذكر لذلك سبباً، وقال الذَّهبيُّ في «المُشتبه» «والظَّاهر أنه بكسر أوَّله» وتعقَّبه ابن

---

(٩) قال ابن رشيق [العمدة ١/ ٥٠٠]: «قال أبو الفتح البستي [=البينيّ] شاعر مصر في وقتنا هذا يصف شمعةً:

قد شابَهتني في لونٍ وفي قَضَفٍ وفي احتراقٍ وفي دَمْعٍ وفي سَهَرِ

فقوله: «قد شابهتني» أظهرُ مقدرةً من المجيءِ بالكاف، لأنَّهم إنَّما استصعبوا ذلك مع الكاف وأخواتها من جهة ضيق الكلام بها، فهذا الذي أتى به البُستيّ [=البينيّ] أشدُّ ضيقاً؟ ألا ترى أنه لو قال: «كأنَّها أنا» لكان هو أصوب، ويكون قد أتى بـ «كأنَّ» وضميرين بعدها فضلاً عن الكاف».

(١٠) أخبار مصر ص٦٨.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ناصر الدِّين في «توضيح المشتبه» بقوله: «قيَّده ابن نقطة في «إكماله» وابن النجَّار في «تاريخه» وغيرهما بفتح أوله» (١١). والله أعلم.

وليس في أيدينا مايدلُّ على تاريخ ولادته، أو مدَّة عمره، ولا عن نشأته وبيئته، وثقافته ومذهبه؛ وكلُّ مانملكه من معلومات لايكاد يبلُّ غُلَّةً.

فقد ذكر المسبِّحيّ في تاريخه مانصُّه(١٢): «ولثلاثٍ بقينَ من ذي القَعدة [سنة ٤١٥هـ] توفي البينيّ الشاعر، وقد ذكرنا مختار شعره فيما تقدَّم، وخلَّفَ إقطاعاً(١٣) بصُور، فَوُضعت اليَدُ على ماخلَّفه، وقبضَه السُّلطان، وكان مستوراً، رحمه الله، ودُفن في مقابر القاهرة».

ونقل عنه المقريزيُّ في «اتِّعاظ الحُنَفا» مختصَراً دون تصريح، فقال(١٤): «وفي سابع عشريه [ذي القعدة سنة ٤١٥هـ] توفي أبو الفَتْح منصور، المعروف بالبينيّ(١٥) الشَّاعر، ودُفن بمقابر القاهرة».

وقال ابن رشيق في «العُمدة»(١٦): وقال أبو الفتح البينيّ(١٧)، شاعر مصرَ في وقتنا هذا يصفُ شمعةً:

---

(١١) الأنساب ٢/٣٧٩، توضيح المشتبه ٢/٦٩ - ٧٠

(١٢) أخبار مصر ص ٢٣٣.

(١٣) في أخبار مصر: وخلَّفَ أيضاً أخاً بصور !. وهي قراءة غير صحيحة، لأنها تتعارض مع مابعدها، ولو كان الأمر كذلك - أعني وجود أخ له - فلماذا وضعت الدولة يدها على ماخلَّفه؟ ولماذا قبض السُّلطان تركته؟.

(١٤) اتعاظ الحنفا ٢/١٧٣.

(١٥) صُحِّفت إلى «التِّينيّ» ! وكذا في فهرسه !.

(١٦) العمدة ١/٥٠٠.

(١٧) في المطبوعة: « البُسْتيّ». واعتبرَ محقِّقه الدكتور محمد قرقزان ذلك من أوهام ابن رشيق، فأنحى عليه باللَّائمة في مقدمته [١/٢٣] ووصفه بأنه «كان يمرُّ أحياناً مرَّ الكرام ببعض =

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

قد شابهتنيَ . . . (البيت).

بينما نجد ابن سعيد الأندلسيّ يذكره ضمن شعراء مصر(١٨)، نقلاً عن القرطيّ(١٩)، وينقل عنه بيتاً [هو البيت السابق]، ويعقّب على ذلك بقوله: «ودلّت قرينة الكلام أنه من شعراء الفُسطاط في المئة الرَّابعة».

* * *

ومن هذه النُّصوص القليلة يُمكننا استنتاج أُمورٍ عدَّة، أهمُّها:

ـ كان شاعراً مشهوراً في عصره؛ بشهادة ابن رشيق فيه، وهو مَن هو في علم الشعر ونقده.

ـ كان يسكن الفُسطاط، وهو مايُسمَّى عند المصريِّين «مصر» تمييزاً لها عن القاهرة.

ـ لم يكن من عِلْيةِ القوم، بل كان مَسْتوراً، يعيش من غلَّة أملاكٍ له

= القضايا التي تحتاج إلى التحقيق » ومما يؤكّد هذا القول ماذكره ابن رشيق [١/٥٠٠]: «وقال أبو الفَتْح البُسْتي شاعر مصرَ في وقتنا هذا يصف شمعةً» وهذا الكلام غير صحيح أيضاً، فالبُسْتيُّ لم يكن شاعر مصر، وإنَّما هو منسوبٌ إلى «بُسْت» قرب سجستان مسقط رأسه، وهو شاعر من كتَّاب الدَّولة السَّامانيَّة في خراسان، ومات ببلدةِ «أُوزجند» في بُخارى ... فكيف يمكن أن يكون شاعر مصر؟ وقد توفي هذا الشاعر نحو سنة ٤٠٠هـ، فكيف يقول ابن رشيق المتوفى سنة ٤٥٦هـ وقد كانت سنُّه عند وفاة البُسْتي لاتتجاوز ١٥ سنة: إن البُسْتيَّ شاعر مصر في وقتنا هذا؟ كيف يكون شاعر مصر في أيام ابن رشيق؟ وقال في [١/٥٠٠] كلاماً مشابهاً، دون أن يخطر بباله أن ذلك قد يكون من عمل النُّسَّاخ وتصحيفهم وتحريفهم!!.

(١٨) المغرب في حلى المغرب ـ قسم مصر، ص٢٧٢.

(١٩) القرطيّ: أبو عبد الله، محمد بن سعد، توفي سنة ٥٦٩هـ. ألَّف كتاباً في تاريخ مصر . (المغرب لابن سعيد ـ قسم مصر، ص٢٦٧)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بصُور(٢٠) على السَّاحل الشَّاميّ.

ـ لم يخلِّف من يرثُ عنه أملاكه، فاستولت عليها الدَّولة، وقبضها السُّلطان.

ـ توفي في السَّابع والعشرين من ذي القَعدة سنة ٤١٥ هـ.

ـ دُفن في مقابر القاهرة

* * *

أما قول ابن رشيق: «شاعر مصر في وقتنا هذا» فهو دقيقٌ كلَّ الدِّقَّة.

ولعلَّه ذكر هذا لأمرين في نفسه: أولهما: رَفْعُ مكانة الرَّجل في أذهان قارئيه. وثانيهما: دَفْعُ الاشتباه الذي قد ينجم عن التَّصحيف بينه وبين «البُسْتيّ» فقال: «في وقتنا هذا» لأن البُسْتيّ توفي وعُمر ابن رشيق ١٥ عاماً.

وإذا تذكرنا أن تأليف «العُمدة» كان بين سنتي (٤١٢ ـ ٤٢٥هـ) فإن البَيْنيّ كان حيّاً عندما بدأ ابن رشيق تأليف كتابه «العُمدة».

وأما قول ابن سعيد: «إنه من شعراء المئة الرَّابعة» فإنه بهذا لم يصبْ ولم يبعدْ؛ فقد عاش الرَّجل في المئة الرَّابعة فعلاً، وجاوزها إلى المئة الخامسة بعقدٍ ونصف.

ولهذا كتب بعض العلماء على هامش «المغرب» نصّاً نقله عن المسبّحي، وقال: «وذَكر أن اسمه منصور، وأنه جاوز المئة الرَّابعة».

وأمَّا قول الثَّعالبيّ: « أبو الفَتْح البُسْتيّ [= البينيّ] **الكاتب**»، فهل كان

---

(٢٠) ولم نجد له ذكراً في «تاريخ دمشق» لابن عساكر، الذي يعتبر صيدا وصور من سواحل دمشق فيترجم لكل من دخلهما.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يعلم حقّاً أنه كان كاتباً في دواوين الدَّولة الفاطميَّة يومذاك، فقال ماقال عن بَيِّنَةٍ، أم اشتبهَ عليه الأمرُ بالبُسْتيِّ الكاتب؟ فهذا مالا نملكُ عليه دليلاً.

وفي ظنّي أن هذه الكلمة ليست في مَحَلِّها؛ فلو كان كذلك لذكره بلديُّهُ المسبِّحي، ولم يقل: «كان مَستوراً».

فهذا كلُّ ماجادت به علينا مصادرنا، وهذا كلُّ ماستطعتُ التَّعَرُّفَ عليه من أخبار الشَّاعر؛ ولعلَّ في هذا مَقْنعاً لشاعرٍ أخنى عليه الزَّمان فأضحى مَغموراً.

* * *

البَيْنيّ من شعره:

وإذا جاز لنا أن نتعرَّف على الشَّاعر من خلال إشارات وردت في شعره، أو فيما تبقَّى من شعره، فإنه يُمكننا القول:

إنه شاميُّ الأصل(٢١)؛ ينتمي إلى قبيلة كلبٍ، التي كانت تسكن يومها قريةً من جبل لبنان:

سقى اللهُ قَوْماً حولَ لُبنان مثلما ... تَرَشَّفْتُ فيه من رُضابِ ظِبائِهِ

قبائلُ من كلبٍ إذا نَزَلَتْ به ... فقد نَزَلَتْ فيه نُجومُ سمائِهِ

أضاءَت لأهليهِ الظَّلامَ وُجُوهُهُمْ ... فأَغْنَتْهُمُ عن صُبْحِهِمْ وضيائِهِ

ولذا فقد كان يشتاق إلى مرابع طفولته ومَسرح شبابه، لمآربَ قضَّاها الشَّبابُ هنالك:

نُزُولٌ على الوادي الذي حَرُّ مُهْجَتي ... وحَرُّ الحَشا شوقاً إلى بَرْدِ مائِهِ

---

(٢١) ومما يعزِّز هذه الفرضية، امتلاكه إقطاعاً بصور، وعدم وجود مَن يرثه في مصر، وذِكره لمدينتي حمص وشَيزر في شعره:

تذكَّرتُ والأشواقُ بعضُ التَّذكُّرِ ... مَرابعَ عَيْنٍ بين حمص وشيزرِ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ومَكَّانَةُ (؟) الحيِّ الذي كان حَظُّها من الدَّهرِ أنِّي كنتُ من سُمَرائِهِ

ولعلَّ خَصاصةً أصابته في وطنه، أو خيانةً لحقته ممَّن كان يثقُ بهم، فقرَّر الارتحالَ:

خذْ بالفراقِ، فما أسلاكَ عن وطنٍ إلاَّ العزائمُ والعَيْرانَةُ الأُجُدُ
فَما يُقيمُ بدارٍ لا وفاءَ لها ولا كرامةَ إلاَّ العَيْرُ والوَتِدُ
أليسَ في النَّاسِ ممَّن خانَني عِوَضٌ والأرضُ واسعةٌ إن ضاقَ بي بَلَدُ

وكان أن شدَّ الرِّحالَ إلى مصرَ، راجياً اليُسْرَ والغِنى، ولكنَّ آماله خابت فازدادَ فَقراً:

يقولون في مصرٍ لِمَن أمَّها الغِنى فَما لي أرى سَيْري إلى مصرَ مُفقري

واعتادته حُمَّى المُتنبِّي في مصر:

بلى مَسكنُ الحُمَّى بمصرٍ ولم تكنْ مَساكنُها من قبلُ إلاَّ بخَيْبَرِ

فلم يجدْ في غُربته إلاَّ جميلَ الصَّبر ملجأً:

سأصبرُ فيما نالني من كريهةٍ ومَن لا يجدْ بُدّاً من الصَّبْرِ يَصْبِرِ

وقنع من زمانه بِبُلْغَةٍ يحتملها خُلُقُ الكريم:

وأقنعُ من هذا الزَّمان ببُلْغَةٍ تُتَرْجِمُ عن خُلْقٍ كريمٍ وعُنصرِ

وطالما سعى ليدركَ مجداً أو غِنىً، فعاد من سعيه بخُفَّي حُنين:

طال ارتكاضي إلى مالستُ أُدركهُ وكيفَ تدركُ شأواً مالَهُ أمَدُ

وكانت هِمَّتُه تجاوزُ الثُّريَّا عُلُوّاً، دون أن يتناسبَ ذلك مع قلَّة ذات يده:

يَشقى الكريمُ إذا كانت مآربُهُ يَقَعْنَ من دهره فوقَ الذي يَجِدُ

كان أبيضَ اللَّون يميلُ إلى الصُّفْرَةِ، نَحيلاً، دائمَ السَّهر والبُكاء [قال يصف شمعةً]:

قد شابَهَتْني في لونٍ وفي قَضَفٍ وفي احتراقٍ وفي دَمْعٍ وفي سَهَرِ(٢٢)

وكانت أخلاقُه كريمةً، يُسَرُّ بها مَن صَحِبَهُ، ويجدونَ به عندما يُفارقهم وَجْداً

(٢٢) القَضَف: النَّحافة . (القاموس).

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

شديداً:

ماذَمَّني قطُّ فِتْيانٌ صَحِبْتُهُمُ ولا اشتكى خُلُقي من مَعْشري أَحَدُ
ولا وَجَدْتُ بجيرانٍ أُفارقُهم إلاَّ وقد وَجَدوا بي فوقَ ما أَجِدُ

ولم يكن يُظهر الشكوى إلاَّ مُضطراً:

وليسَ التَّشكِّي شِيمتي غيرأَنَّهُ يفيضُ إِناءٌ زِيدَ فوقَ امتلائِهِ

ولعل كثرة المطارق التي انهالت عليه في غُربته جعلته يغتنم أيَّة فُرصةٍ يرى من خلالها فَرَحاً:

إِذا أَصَبْتُ فَرْحَةً سالمةً من التَّرَحْ
فَما أُبالي في غَدٍ أَخابَ قِدْحي أم نَجَحْ(٢٣)

وربَّما استرسل في ملذَّاته:

أعطيتُ فَضْلَ مِقْوَدي لخاطرٍ فيه مَرَحْ

ولربّما اجترفتهُ المعصية حيناً: [القصيدة الميميَّة].

ولم يكن يؤمن بأساطير العرب في السَّانح والبارح:

لستُ امرأً إِذا اغتدى يعرف في الطَّير الرَّوَحْ

واكتسبَ من دهره حكمةً:

حَياءُ الفتى مثلُ اللِّحاءِ وإِنَّما جَفافُ القَضيبِ الرَّطبِ نَزْعُ لِحائِه

شديدٌ من الدُّنيا على الحُرِّ حاجةٌ يَؤُمُّ بها مَن ليسَ من نُظَرائِه

تَفَرَّقُ أَنواعُ المذَمّاتِ في الورى ويجمعُها خُلْقُ الفَتى حين يكذِبُ

إِذا كان للإِنسانِ عَقْلٌ فحيثما تَوَجَّهَ لاقاهُ صَديقٌ ومكسَبُ

---

(٢٣) القِدح: السَّهم قبل أن يُراشَ ويُنْصَل. (القاموس).

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ينالُ الفتى بالخَفْضِ بُلْغَةَ عَيْشِهِ فيَسعى إلى شَيءٍ سواها وَيَنْصَبُ
يُخَرِّبُ من أُخْراهُ ماليسَ فانياً ويَعْمُرُ من دُنْياه مايَتَخَرَّبُ
على أنَّ في الأَيَّام للمرءِ واعظاً بَليغاً، وفي صَرْفِ الزَّمانِ مُؤَدِّبُ

وما النَّاسُ إلاَّ كالنَّباتِ مُصَوِّحٌ لِيَذْوَى، ومُخْضَرٌّ لِيَنْمى، ومُعْشِبُ
يُسَرْبِلُهُ ماءُ الشَّبابِ نَضارَةً ويُنْزَعُ عنه حُسْنُهُ حينَ يَنْضَبُ

ولهذا كان يُحسن اختيار مَمدوحيه:

تَخَيَّرتُهُ مِن ذا الأَنامِ وإنَّما عَلامَةُ عَقْلِ المرءِ حُسْنُ التَّخَيُّرِ

* * *

شعره :

لم يكن من السَّهل تجاهل كلمة ابن رشيق فيه: «شاعر مصر في وقتنا هذا».

ولم يكن ابن رشيق ليطلق هذه الكلمة لولا معرفته الدقيقة بشعره، واطِّلاعه على قدرٍ صالحٍ منه، ومقارنته بغيره من شعراء مصر في الحقبة ذاتها، فقال بعد ذلك ماقال عن بَيِّنَةٍ.

ومن خلال مديحه لبعض رجالات عصره ـ كالقاضي محمد بن النُّعمان، والحاجب عبد الوهاب بن جعفر، وعلي بن بجوار ـ بقصائد مطوَّلة أَجادَ فيها كلَّ الإجادة، وأَحسن غاية الإحسان؛ فإنَّنا نراه شاعراً كبيراً، ذا مكانةٍ في الأَدب والشعر عالية، بأَلفاظه الجزلة، وصُوَرِهِ الرَّشيقة الأَنيقة، وتضميناته المستحسنة التي تدلُّ على خَلْفِيَّةٍ ثقافيَّةٍمتينةٍ يمتحُ منها دَلواً مُتْرَعاً كلَّما أَراد.

ويأتي اختيار الأَمير المسبِّحي ستَّةَ قصائد من شعره، في الوقت الذي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لم يُورد غير قصائد قليلة لشعراء آخرين من الحقبة ذاتها، دليلاً على وجودِ ديوانٍ للشَّاعر مُتداوَلٍ بين أَيدي النَّاس يومذاك، وهو الذي مهَّد له أن يختارمااختار.

ولكن أَحداً لم يذكرأَن للبَيْني ديواناً، ولم يقل أَحدٌ إنه جمع شعر البَيْني، وكذلك لم نجد أَحداً رأَى الدِّيوان أَو استعمله.

وقد عمدتُ في هذا البحث المتواضع إلى جمع ماتبقَّى من شعر الشَّاعر ـ بعد أَن يئستُ من العثور على ديوانه ـ للتَّعريف به، والإشادة بذكره، والتفريق بينه وبين أَبي الفتح البُسْتيّ الذي اختلط بعضُ شعره بشعره.

ولستُ أَستبعدُ حدوث المزيد من هذا التَّداخل والاختلاط ـ منذ القرن الخامس الهجري ـ ونسبة بعض أشعار البَيْني إلى البُسْتي نتيجةً لهذا التَّصحيف الذي ظُلم بسببه شاعرنا.

وكان مجموع ماتحصَّل من شعره ـ في هذه المحاولة ـ واحداً وسبعين ومئة بيتٍ؛ ونرجو أَن تُسعفنا الأَيَّام باكتشاف المزيد منه.

فجزى الله خيراً كلَّ مَن أَرشدنا إلى شيءٍ من شعره في مطبوعٍ أَو مخطوطٍ من الكتب، نشره أَم لم ينشره. وفوق كلِّ ذي علمٍ عليم.

* * *

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أ ـ الصَّحيح من شعره:

قافية الهمزة

١ـ [قال] يمدحُ محمد بن النُّعمان(٢٤)، وأَبا محمد عبد الوهَّاب ابن حسن بن الحاجب(٢٥) :[من الطويل]

١ سَقى اللهُ قَوْماً حَوْلَ لُبنانَ مِثلما ... تَرَشَّفْتُ فيه من رُضابِ ظِبائِهِ
٢ قَبائلُ من كَلْبٍ إذا نَزَلَتْ بِهِ ... فقد نَزَلَتْ فيهِ نُجومُ سَمائِهِ
٣ أَضاءَتْ لأهليهِ الظَّلامَ وُجُوهُهُم ... فأَغْنَتْهُمُ عن صُبْحِهِمْ وضِيائِهِ
٤ نُزُولٌ على الوادي الذي حَرَّمُ مُهجتي ... وحَرَّ الحَشا شَوْقاً إلى بَرْدِ مائِهِ
٥ ومَكَّانَةُ الحَيِّ الذي كان حَظُّها ... من الدَّهرِ أَني كنتُ من سُمرائِهِ(٢٦)
٦ إذا أَشْبَهَتْ في جَوِّها فَكَّةُ الدُّجى ... على كلِّ دَمْثٍ دارةً من نِسائِهِ
٧ أَيا حاجباً لم يَحتجبْ عن مُؤَمِّلٍ ... ولا سَدَّ من سَمْعِ النِّدا عن ندائِهِ
٨ بَقاءُ رَجاءِ المَرْءِ إبْقاءُ نَفْسِهِ ... ومِن قَتْلِ نَفْسِ المَرْءِ قَطْعُ رَجائِهِ
٩ فَقُلْ لأبي عبدِ الإلهِ بأَنَّني ... سَقيمٌ، إلى الآسي شِكايةُ دائِهِ
١٠ وليسَ التَّشكي شِيمتي غيرَ أَنَّهُ ... يَفيضُ إناءٌ زِيدَ فوقَ امتلائِهِ
١١ وَرُبَّتَ مَرْحُومٍ لِسُقْمٍ كأَنَّهُ ... غَمامَةُ وَسْمِيٍّ جَلَتْ عن سِقائِهِ

---

(٢٤) هو أبو عبد الله، محمد بن النعمان بن محمد بن منصور، قاضي القضاة بمصر، وُلد ببلاد المغرب سنة ٣٤٠هـ، وقدم مع أبيه إلى مصر، وقلده العزيز بالله نزار الفاطمي القضاء بمصر سنة ٣٧٤ هـ، كان جيد الأحكام، حسن الأدب والمعرفة بالأخبار والأشعار وأيام الناس؛ مات بعلَّة النقرس والقولنج بالقاهرة سنة ٣٨٩هـ. [المقفى الكبير ٣٤٧/٧، الوافي بالوفيات ١٣١/٥].

(٢٥) كذا ورد الاسم في الأصل، وأرى أن صوابه: عبد الوهاب بن جعفر الحاجب، كما ورد في ترجمته في اليتيمة ٤٣٢/١، وكما مدحه شاعرنا بقصيدة رائية بقوله:

وغير صباباتٍ نَهى فيضُها النُّهى ... فكانت غديراً من سحاب ابن جعفرِ

(٢٦) كذا ورد هذا البيت.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

١٢ ويَبْسُطُ آمالي حَياءٌ بِوَجْهِهِ وبعضُ حَياءِ المرءِ تِرْبُ سَخائِهِ
١٣ حَياءُ الفتى مِثْلُ اللِّحاءِ، وإنَّما جَفافُ القضيبِ الرَّطبِ نَزْعُ لِحائِهِ
١٤ وخُلْقٌ كماءِ المُزْنِ في ظِلِّ صَخْرَةٍ يُرى فيه ما قُدَّامُهُ من ورائِهِ
١٥ تَرى كُلُّ عَيْنٍ فيه ما في ضَميرِها كذلكَ لَونُ الماءِ لَوْنُ إنائِهِ
١٦ أَلَسْتُ إليه جُبْتُ كُلَّ تَنُوفَةٍ يَضِلُّ بها قَرْنُ الضُّحى عن ذُكائِهِ
١٧ بِقَلْبٍ تراها كلَّما صِرْتَ سَمْتَها على نَفْسِها مُرْتاعَةً من ذَكائِهِ(٢٧)
١٨ وعَزْمٍ كصَدْرِ السَّيْفِ ما زالَ عالياً على الحُضْرِ، نَصُّ السِّرِّ في غُلَوائِهِ
١٩ إذا سُلَّ في وجهِ الزَّمانِ تَعَلَّمَتْ مَقاديرُهُ من قَطْعِهِ ومَضائِهِ
٢٠ وما زالَ عنِّي اللَّيلُ إلاَّ طَلَبْتُهُ مع الشَّمْسِ فاستَخْرَجْتُهُ من مَسائِهِ
٢١ فلا تُهْمِلَنْ غَرْساً متى امْتَدَّ فَرْعُهُ أَصَبْتَ العُلا في يَنْعِهِ ونَمائِهِ(٢٨)
٢٢ وصُنْ ماءَ وَجْهي عن لئيمٍ على الثَّرى ولَمْسُ الثُّرَيَّا دُونَ لَمْسِ ثَرائِهِ
٢٣ وأَنْشَدْتُهُ من مَدْحِهِ فكأَنَّني ـ لِما نالَهُ ـ أَنْشَدْتُهُ من هِجائِهِ(٢٩)
٢٤ شَديدٌ من الدُّنيا على الحُرِّ حاجَةٌ يَؤُمُّ بها مَن ليسَ من نُظَرائِهِ

* * *

قافية الباء

٢ – وكتب إلى أَبي الحسين عليّ بن بجوار(٣٠) وهو بحلب: [من الطويل]

١ سَرى في سبيلِ النَّومِ ظَبْيٌ مُرَبَّبُ هَزيعاً، وهل للظَّبْيِ في اللَّيلِ مَسْرَبُ؟
٢ وأَنَّى اهتدى والأَرضُ بيني وبينَهُ ومِن فَوقِها غِيلُ الدُّجى المُتأَشِّبُ؟

(٢٧) لعل الصواب: ... كلَّما سرتَ سَمْتَها .....
(٢٨) في الأصل: ولا تهملن غرساً .....
(٢٩) لعل الصواب: إنْ أَنْشَدْتُهُ .....
(٣٠) لم أقف له على ترجمة.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٣ فَيالكَ من ليلٍ طَوى النَّأْيَ فالتقى ... بهِ مَشرقٌ حتَّى الصَّباحِ ـ ومَغرب
٤ ومازالتِ العُتْبى تَرَدَّدُ بَيْنَنا ... إلى أَمَدٍ ماخَلْفَهُ مُتَعَتَّبُ
٥ ووَلَّى وعَيني تُرسلُ الدَّمعَ خَلْفَهُ ... وقد حازَ جَفْنَيْها خَيالٌ مُحَبَّبُ
٦ فَقُمْتُ كأَنْ عَلَّقْتُ قَلبي بِنَظْرةٍ ... تَهادى بها في طُرَّةِ الغَربِ كوكبُ
٧ لِكُلِّ امرئٍ عُمْرٌ بما لا يَنالُه ... وعُمْرٌ بما قد نالَه، كيفَ يُسْلَبُ؟
٨ ولَيلةُ لَيْلَى والرَّقيبُ كأَنَّهُ ... على أُفْقِها عَيْنُ الرَّقيبِ تَرَقَّبُ
٩ بحيثُ تُرى الحِرْباءَ تَغبَرُّ في الدُّجى ... وتُنْشَرُ في صَدْرِ النَّهارِ وتُصْلَبُ(٣١)
١٠ وقد مَدَّ كَفَّيهِ إلى الشَّمس مائلاً ... كما مدَّ كَفَّيْهِ إلى اللهِ مُذْنِبُ(٣٢)
١١ ظَلامٌ كإِبهامِ القَطاةِ لَبِسْتُهُ ... وكان كظِلِّ الرُّمحِ ماجئتُ أُطلُبُ(٣٣)
١٢ ومازلتُ أَرمي بالتَّخَيُّبِ ظَنَّهمْ ... وربَّما غَرَّ الرَّقيبَ التَّخَيُّبُ
١٣ ومازُرْتُها إلاَّ كخَفْقَةِ طائرٍ ... على عَجَلٍ واللَّيْلُ بالصُّبْحِ أَشْيَبُ
١٤ وفي ذَيْلِهِ ذِئْبٌ من الإِنسِ أَطلسٌ ... تَوَجَّسَ، أَو لَيْثٌ من الوحشِ أَغْلَبُ
١٥ وفي مَأْتَمِ النَّصْلِ اليَماني بَرْقَةٌ ... إذا لَمَعَتْ كانَت دَماً يَتَصَبَّبُ

(٣١) أنَّث الحرباء حملاً على معنى العظاية.

(٣٢) هذا من قول ذي الرُّمَّة: [ديوانه ٢/٦٣١، والحيوان ٦/٣٦٣]

يظلُّ بها الحِرْباءُ للشَّمسِ ماثلاً ... على الجِذْلِ إلاَّ أنَّه لا يُكبِّرُ
إذا حَوَّلَ الظِّلَّ العَشِيُّ رأَيتَهُ ... حَنيفاً، وفي قَرْنِ الضُّحى يَتَنَصَّرُ

(٣٣) يقال في المثل: «أقصرُ من إبهام القَطاة». [معجم الأمثال العربية ١/٢٢٩؛ وتخريجه من: الميداني ٢/١٢٨، جمهرة العسكري ٢/١١٥، الدرة الفاخرة ٢/٣٥١، المستقصى ١/٢٨٣] ويزاد: ثمار القلوب ٤٨٣. وشاهده قول جرير: [ديوانه ٢/٩٦٤]

ويومٍ كإبهامِ القَطاةِ مُزَيَّنٍ ... إليَّ صِباهُ غالبٍ لي باطلُهْ

ويقال: «أطول من ظلِّ الرُّمح». [معجم الأمثال العربية ٣/٩٥؛ وتخريجه من: الميداني ١/٤٢٧، العسكري ٢/١٣ و ١٩، الدرة الفاخرة ١/٢٨٤، المستقصى ١/٢٢٩] ويزاد: ثمار القلوب ٦٢٦، وفيه شاهده من شعر يزيد بن الطثرية: [شعره ٨١]

ويومٍ كظِلِّ الرُّمحِ قصَّرَ طولُه ... دمُ الزِّقِّ عنا واصطفاقُ المزاهرِ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

١٦ إذا سُلَّ خِلْتَ الغِمْدَ أسلَمَ جَدْوَلاً فضيضاً عليه شُعْلَةٌ تَتَلَهَّبُ
١٧ يَقُدُّ المُفاضَ السَّرْدَ رَهْواً كأنَّهُ يَقُدُّ شمالاً أو ضِيا حينَ أضْرِبُ
١٨ فما كان إلا ضَرْبَةَ الغُولِ بَيْنَنا إذا كان حقاً ما إلى الغُولِ يُنْسَبُ(٣٤)
١٩ أطَعْتُ الصِّبا حتَّى ارعَوَتْ بي خَليقَةٌ تَناهَتْ وفي شَرْخِ الشَّبيبةِ مَلْعَبُ
٢٠ وما النَّاسُ إلاَّ كالنَّباتِ مُصَوِّحٌ لِيَذْوَى، ومُخْضَرٌّ لِيَنْمَى، ومُعْشِبُ
٢١ يُسَرْبِلُهُ ماءَ الشَّبابِ نَضارَةً ويُنْزَعُ عنه حُسْنُهُ حينَ يَنْضَبُ
٢٢ دعاني ابنُ بَجوارٍ عليٌّ وبَيْنَنا من الآلِ بَحْرٌ، أو من البحرِ سَبْسَبُ
٢٣ فَجُبْتُ عن الفَجْرِ الظَّلامَ كأنَّما صَدَعْتُ به عن زُرْقَةِ الماءِ طُحْلَبُ (؟)
٢٤ بِعِيسٍ أرى من خَلْفِها فَرْطَ خَلْقِها كَلالٌ أراها مثلَها حينَ تَجْلِبُ(٣٥)
٢٥ إلى مَلِكٍ كالقَلْبِ خَلْفَ حِجابِهِ يَرى خافياتِ الغَيْبِ وهْوَ مُغَيَّبُ
٢٦ إلى صادقٍ لا يَنْفُقُ الكِذْبُ عندَهُ وإن كانَ في لَفْظٍ يَروقُ ويُعْجِبُ
٢٧ إلى طاهرِ الأخلاقِ لا شَرَّ عندَهُ سِوى كُلْفَةٍ تُخْشى كثيراً وتُرْهَبُ
٢٨ تَفَرَّقُ أنواعُ المَذَمَّاتِ في الورى ويَجمعُها خُلْقُ الفَتى حينَ يكذبُ
٢٩ كذا تُشرقُ الدُّنيا إذا كان راضياً وتَلْبَسُ أثوابَ الدُّجى حين يغضَبُ
٣٠ كريمٌ متى أعجِمْ أسِرَّةَ وَجهِهِ بِعَيْنَيَّ يَحلُو في فؤادي ويَعْذُبُ(٣٦)
٣١ فَضَمَّ يَدي عن رِفْدِ أيْدٍ كثيرةٍ إذا كان فيها الماءُ لا يَتَسَرَّبُ
٣٢ وقَرَّبَ قلبي قبلَ جِسمي وإنَّما بِقَلْبِ الفَتى لا جِسْمِهِ يُتَقَرَّبُ
٣٣ ولو كنتُ ممَّن يطلبُ الرِّفْدَ كان لي بحيثُ يكونُ الشَّاعِرُ الطلقُ مطلبُ

(٣٤) يشير إلى ماورد في شعر تأبط شراً من أبيات قالها بعد أن عرضت له الغول، فطالبها بُضعها فالتوَتْ، فضربها ضربة واحدة، ثم احتزَّ رأسها فأتى قومه متأبِّطه. [ديوان تأبط شراً ١٦٤-١٦٥، نقائض جرير والأخطل ٦٥].

(٣٥) كذا ورد البيت.

(٣٦) كذا ورد جواب الشرط مرفوعاً في البيت!

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٣٤ ولكنَّني نَزَّهتُ نَفْسي لأنَّني أرى الحَمْدَ يبقى والعَطِيَّةَ تَذْهَبُ
٣٥ إذا كانَ للإنسانِ عَقْلٌ فَحيثُما تَوَجَّهَ لاقاهُ صَديقٌ ومَكْسَبُ
٣٦ يَنالُ الفَتى بالخَفْضِ بُلْغَةَ عَيْشِهِ فَيَسْعى إلى شيءٍ سِواها ويَنْصَبُ
٣٧ يُخَرِّبُ من أُخراهُ ماليسَ فانياً ويَعْمُرُ من دُنياهُ ما يَتَخَرَّبُ
٣٨ على أنَّ في الأيَّامِ لِلمرءِ واعِظاً بَليغاً، وفي صَرْفِ الزَّمانِ مُؤَدِّبُ

* * *

٣- وقال : [من الكامل]

١ صِحْتُ: السِّلاحَ، لِشدَّةِ الحَرْبِ والمُسْتغاثُ لِشِدَّةِ الكَرْبِ
٢ حتّى إذا لبِسُوا سِلاحَهُمُ وتَشَدَّدوا لِوَقائعِ الحَرْبِ
٣ ناوَلْتُهُمْ قلبي، وقُلتُ لهم: هذا المُسِيءُ فَقَطِّعوا قلبي

قافية الحاء

٤- وقال أيضاً: [من الرجز]

١ نَبَّهني ديكٌ صَدَحْ فَقُلتُ: قُومي يامُلَحْ
٢ والصُّبْحُ قد بانَ لهُ في كَفَلِ اللَّيلِ وَضَحْ
٣ وللنَّسيمِ قِرَّةٌ تُظهرُ في الوَجْهِ كَلَحْ
٤ والطَّلُّ في ذيلِ الدُّجى إنْ لم يَسِلْ منهُ رَشَحْ
٥ فأقْبَلَتْ في حُلَلٍ كالشَّمسِ في قَوسِ قُزَحْ
٦ والبَدْرُ أبدى صَفْحَةً من جِيدِهِ حينَ سَبَحْ
٧ تحملُ لي قِرْبَةً مَلأى مُداماً وقَدَحْ(٣٧)

(٣٧) في الأصل: تحمل لي قرابة .....
[بهذه الرواية التي اختارها المحقق الفاضل يختل وزن الشطر الأول/ المجلة].

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٨ واندفَعَتْ تَسْكُبُ لي ... منها سُروراً وفَرَحْ
٩ والبَرْقُ قد أَوقَدَ لي ... ناراً على نأيٍ طَرَحْ
١٠ كالمُهْرِ تَشْتَقُّ الدُّجى ... حُجُولُهُ إذا رَمَحْ
١١ في أَوْطَفٍ عَيَّ بما ... يَحمِلُهُ حتَّى دَلَحْ(٣٨)
١٢ كأَنَّما استَلَّ على الظَّـ ... ـلْماءِ قُضْباً وصُفَحْ
١٣ أَرهَقْنَ في خُصُورِها ... وبِتْنَ فيهنَّ وُشُحْ
١٤ يَضْرِبْنَ أَعناقَ الغَما ... مِ كلَّما ضَنَّ وشَحْ
١٥ حتى بَراهُ بِدَمٍ ... أَبيضَ يَجري ويَسِحْ
١٦ فَلَمْ نَزَلْ نَشْرَبُها ... حَمراءَ كالمِسْكِ نَفَحْ(٣٩)
١٧ ياقُوتَةً صِيغَ لها ... من لُؤلؤِ المَرْجِ سُبَحْ
١٨ والكأسُ قد راضَتْ لنا ... خُلْقَ شَحيحٍ فَسَمَحْ
١٩ حتَّى يُغَطِّي طَرَباً ... في صَحَلِ الشَّدْوِ أَمَحْ(٤٠)
٢٠ مُحَرَّمُ الظَّهْرِ فما ... يَرْكَبُهُ إلاَّ جَمَحْ
٢١ ولانَ حتى اشْتَبَهَتْ ... دماءُ وادٍ وركَحْ(٤١)
٢٢ ثم اعْتَنَقْنا وعَمِلْـ ... ـنا بعدَ ذاكَ ماصَلَحْ
٢٣ وكان مافيكَ إذا ... [ما] ناجزَ الكبشَ نَطَحْ
٢٤ ياثَعْلَباً لَقيتُهُ ... أَمسِ صَباحاً فَضَبَحْ
٢٥ لابَاتَ إلاَّ طاوياً ... يَروعُهُ كَلْبٌ نَبَحْ

(٣٨) الأوطف : من قولهم : سحاب أوطف : في وجهه كالحمل الثقيل . ودلح : مشى منقبض الخطو . (التاج) .

(٣٩) في الأصل : فلم تنزل بشرتها .....

(٤٠) الصَّحَل: خشونة في الصدر، وانشقاق في الصَّوت من غير أن يستقيم. وأَمَحَ الجرح: ضرب بوجع .(القاموس).

(٤١) ركَحَ: ركنَ وأَنابَ . والبيت فيه بعض الغموض.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٢٦ جَدَّدَ لي عَهْدَ الهوى ... من بَعدما عَفَّى ومَحْ
٢٧ لستُ امرأً إذا اغتدى ... يَعرفُ في الطَّيْرِ الرَّوَحْ
٢٨ إذا أَصبتُ فَرْحةً ... سالمةً من التَّرَحْ
٢٩ فَما أُبالي في غَدٍ ... أَخابَ قِدْحي أَم نَجَحْ
٣٠ أَعطيتُ فَضْلَ مِقْوَدي ... لخاطرٍ فيه مَرَحْ

* * *

قافية الدال

٥- وقال أيضاً: [من البسيط]

١ صَدَّت ومَنْزِلُها من مَنْزِلي صَدَدُ ... وأَخْلَفَتْكَ على العلاَّتِ ماتَعِدُ
٢ حتَّى هراقَتْ نُفوساً لا تُقادُ بها ... وكيف يُؤخَذُ من وَحْشِيَّةٍ قَوَدُ؟
٣ جارانِ يَجمعُنا في دارِنا نَشَبٌ ... لا أُدُّ ترضى بما تأتي ولا أُدَدُ(٤٢)
٤ ومادُنُوُّكَ ممَّن لاحِفاظَ لهمْ ... على المَوَدَّةِ إلاَّ النَّأيُ والبُعُدُ
٥ بأَنَ الخليطُ الذي كانت ظعائنُهُ ... من الصَّبابةِ في أَحشائِهِ تَخِدُ
٦ كأَنَّ خُفِّي قَضيبٌ في صَنَوبرةٍ ... تُجادُ فالماءُ عن أَوراقِها بَدَدُ
٧ مثل السُّرورِ بشيءٍ كنتَ تألفُهُ ... تُجري الدُّموعَ عليه حينَ يُفْتَقَدُ
٨ تموتُ غَمّاً، ويبكي مَن نأَى أَسفاً ... متى تُفارقُكَ الأَحزانُ والكَمَدُ؟
٩ دَعْ مَنْ قَلاكَ، وواصِلْ مَن ظَفِرْتَ بهِ ... ماتعلمُ اليومَ مايقضي عليك غَدُ
١٠ كُلُّ البَرِيَّةِ عُميانٌ يَقُودُهُمُ ... دَهْرٌ طرائِقُهُ مَجهولةٌ قِدَدُ

(٤٢) أُودٌ، وأُدَد: كلٌّ منهما أبو قبيلة.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

١١ لا خيرَ يأتي ولا شراً إلى أَحَدٍ
بالطَّبْعِ يَصْلُحُ أَحياناً ويَنْفَسِدُ

١٢ إن سَرَّكَ اليومُ في أَمرٍ فإنَّ غداً
كحامِلٍ لَيس يدري النَّاسُ ما تَلِدُ(٤٣)

١٣ خُذْ بالفراقِ، فما أسلاكَ عن وَطَنٍ
إلاَّ العزائمُ والعَيْرانَةُ الأُجُدُ

١٤ فَما يُقيمُ بدارٍ لا وفاءَ لها
ولا كرامةَ إلاَّ العَيْرُ والوَتِدُ(٤٤)

١٥ أليسَ في النَّاسِ ممَّن خانني عِوَضٌ
والأرضُ واسِعَةٌ إن ضاقَ بي بَلَدُ ؟

١٦ فكيف آسى على خِلٍّ تَغَيَّرَ لي
والنَّاسُ كالرَّمْلِ لا يُحصى لهم عَدَدُ ؟

١٧ ماذَمَّني قطُّ فِتيانٌ صَحِبْتُهُمُ
ولا اشتكى خُلُقي من مَعْشري أَحَدُ

١٨ ولا وَجَدْتُ بجيرانٍ أُفارِقُهُمْ
إلاَّ وقد وَجَدُوا بي فَوقَ ماأجدُ(٤٥)

١٩ يارُبَّ يومٍ وَصَلْناهُ بَليْلَتِهِ
والنَّاسُ يَحدو بها ذو غَيَّةٍ عَرِدُ

٢٠ بِلَيْلَةٍ كسَوادِ العَيْنِ ناظِرَةٍ
إلى اللَّذاذَةِ لم يَعْلَقْ بها الرَّمَدُ

٢١ ولاحَ بَدْرُ الدُّجى نِهْياً وأَنْجُمُهُ
طَيْراً تَرِفُّ حَوالَيْهِ ولا تَرِدُ(٤٦)

---

(٤٣) يشير إلى قول بشار بن برد : [ديوانه ٦٦ ط. دار الثقافة]
ترجو غداً وغدٌ كحاملةٍ في الحيِّ لايدرون ما تلدُ

(٤٤) روايته في هامش «المغرب» : ما إن يقيم بدار.....
وهذا من قول الشاعر: [مجمع الأمثال ١/٢٨٣، جمهرة العسكري ١/٤٦٨، المستقصى ١/٥٧]

ولا يقيم بدار الذُّلِّ يعرفُها إلاَّ الأَذلاَّن عَيْر الأَهل والوَتِدِ
هذا على الخَسْفِ مربوطٌ برُمَّتِهِ وذا يُشَجُّ فلا يأوي له أَحَدُ

(٤٥) في الأصل:..... وقد وجدوني .....

(٤٦) في هامش المغرب:..... نهراً وأنجمه.....والنهي : الغدير.....

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

٢٢ يَعلو فَيَمْحُو ضِياءً من كواكبه حتى تَرى الجَوَّ ثَلْجاً فَوقَهُ بَرَدُ
٢٣ صَفَتْ وأَهْدَتْ لها الأَيَّامُ رَوْنَقَها فالدُّرُّ يُنْظَمُ والدِّينارُ يَتَّقِدُ
٢٤ والماءُ يَنْسابُ أَيْماً في زُمُرُّدَةٍ يَجورُ فيها على حالٍ ويَقْتَصِدُ(٤٧)
٢٥ يُزجي حِجاً في فُوَيقٍ حَوْلَهُ حَبَبٌ كالبَيْضِ نُظِّمَ في حافاتِهِ الزَّرَدُ(٤٨)
٢٦ مُدَرَّجاً كالشُّعُورِ الجُعْدِ مُرْسَلَةً أوالحَبيكِ الذي في الجَوِّ يَطَّرِدُ
٢٧ من جَوشنٍ في حَبابِ الماءِ صَنعتُهُ تَنْحَلُّ أَزرارُهُ عنه وتَنْعَقِدُ(٤٩)
٢٨ قد أُذْهِبَتْ بشُعاعِ البَدْرِ صَفْحَتُهُ وفُضِّضَت بِلُجَيْنٍ صاغَهُ الزَّبَدُ
٢٩ أَبقى الزَّمانُ على لَبَّاتِهِ عِدَةً وإِنَّما يُنْجِزُ الأَحرارُ ما وَعَدوا
٣٠ طالَ ارتكاضي إلى مالَسْتُ أُدرِكُهُ وكيفَ تُدرِكُ شأواً مالَهُ أَمَدُ؟
٣١ يَشْقى الكريمُ إذا كانَتْ مآربُهُ يَقَعْنَ مِنْ دَهْرِهِ فوقَ الذي يَجِدُ

* * *

قافية الراء

٦ ـ وقال أيضاً [يمدح محمد بن النعمان وعبد الوهاب بن جعفر]:

[من الطويل]

١ تَذَكَّرتُ والأَشواقُ بعضُ التَّذَكُّرِ مَرابعَ عِينٍ بين حِمْصٍ وشَيْزَرِ
٢ يَمُرُّ بها الجَيشُ العَرَمْرَمُ في الدُّجى خَفِيّاً مُرورَ الخائفِ المُتَحَذِّرِ

(٤٧) الأيم: الحيَّة. (القاموس).

(٤٨) الحجا: نفاخات الماء من قطر المطر. (القاموس).

وفويق: كذا في الأصل، وأراها «فُوَيْف» قال في القاموس: الفُوف: القشرة التي تكون على حبَّة القلب والنَّواة دون لحمة التَّمر، وكلُّ قشرٍ فُوفٌ.

(٤٩) الجوشن: الدِّرع.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٣ فليسَ يسيرُ الجيشُ غيرَ مُعَزَّزٍ بها ويسيرُ السَّفْرُ غَيْرَ مُخَفَّرِ
٤ يَمُرُّون بالقَتْلى مُدَمَّى وحالباً ببابكَ أَمثالَ الهَدِيِّ المُعَقَّرِ(٥٠)
٥ كأَنَّهم صَرعى مُدامٍ عَليهمُ ثيابُ الحِدادِ والمُلاءِ المُعَصْفَرِ
٦ يَقولون: في مِصْرٍ لِمَن أُمُّها الغِنى فمالي أَرى سَيْري إِلى مِصرَ مُفْقِري؟
٧ بَلى، مَسْكَنُ الحُمَّى بمصرٍ ولم تكنْ مَساكنُها من قبلُ إِلاَّ بخَيْبَرِ(٥١)
٨ سأَصبرُ فيما نالني من كريهةٍ ومَن لا يَجدْ بُدّاً من الصَّبرِ يَصْبِرِ
٩ وأَقنعُ من هذا الزَّمان بِبُلْغَةٍ تُتَرْجِمُ عن خُلْقٍ كريمٍ وعُنْصُرِ
١٠ فلا تاركاً أَمراً إِذا كان مقبِلاً ولا آخِذاً منهُ بأَذيالِ مُدْبِرِ
١١ ولو جاز أَن يَعْدُو إِلى رِقِّ مُعْذِرٍ لَرَدَّ عليكَ الحِرْصُ مالم تُقَدِّرِ
١٢ وأَرجو أَبا عبدِ الإِلهِ فأَحتمي
بأَنْجَدَ، من صَرْفِ الزَّمانِ وأَخْطَرِ
١٣ يُتابعُ أَعقابَ الخُطوبِ كأَنَّه
سَنا الفَجْرِ في أَعقابِ ليلٍ مُشَمِّرِ
١٤ وأُهدي له حالي فَيشكو لِسانُها
إِلى جُودِهِ شكوى جَميلِ بن مَعْمَرِ(٥٢)

---

(٥٠) في الأصل: .....بابل.....

(٥١) في الشطر الأول إشارة إلى قصيدة المتنبي التي يصف فيها حُمَّاه التي كانت تغشاه بمصر [ديوانه ٤/١٤٢ بشرح ابن عدلان، المنسوب للعكبري].

وفي الشطر الثاني إشارة إلى حُمَّى خيبر، لأنها مخصوصة بالحُمَّى والوباء. [ثمار القلوب ٢/٧٩١، معجم البلدان ٢/٤١٠]. قال أوس بن حجر: [ديوانه ١٠٠]

كأَنَّ بهِ إِذ جئتَهُ خيبريَّةً يعودُ عليها وِرْدُها ومُلالُها

(٥٢) إشارة إلى قول جميل: [ديوانه ١١٧]

إِلى الله أَشكو لا إِلى النَّاس حبَّها ولا بُدَّ من شكوى حبيب يُرَوِّعُ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

١٥ إلى وادِ حرّانٍ، وشمسٍ جَلِيَّةٍ
بُرُودٍ، وغَيْثٍ في المَصيفِ كَنَهْورِ(٥٣)
١٦ وإنِّي لَعُرْيانُ التَّجَمُّلِ غيرما
تَلَفَّعْتُ من نَسْجِ القَريضِ المُحَبَّرِ
١٧ وغيرَ صَباباتٍ نَهى فَيْضُها النُّهى
فَكانت غَديراً من سَحابِ ابن جعفرِ
١٨ تَنَمَّرَتِ الأَيَّامُ لي فكأنَّما
أَتَتْنى بِمُجْرٍ في الحَديدِ مُكَفِّرِ(٥٤)
١٩ تَضايَقَتِ الخُرصانُ فيه فلو مَشَتْ
عليها بناتُ الفِيْحِ لم تَتَغَيَّرِ(٥٥)
٢٠ ومازِلْنَ حتَّى هَيَّضَتْ من قَوادمي
وحتَّى بَرَتْ من حَدِّ ظُفْري ومِنْسَري
٢١ وكنتُ متى ما أُدْعَ لِلِّيْنِ مَرَّةً
أَجَبْتُ مُرورَ الكوكبِ المُتَحَدِّرِ
٢٢ ولكنَّني لا واردُ الماءِ شارباً
ولا فائزاً عنه بِوِجْدانِ مَصْدَرِ(٥٦)
٢٣ وإنِّي لأرجو منك عَطْفاً يَرُدُّني
إلى ظِلِّ فَيْنانٍ من العَيْشِ أَخْضَرِ
٢٤ وليس بعيداً أن تَعُدَّ لِضَحْوَةٍ
إذا طَلَعَتْ شمسُ النَّهارِ لِمُبْصِرِ

(٥٣) واد حرّان: كذا ورد في الأصل.
(٥٤) المُجري: الفارس الذي يُجري الخيل. والمُكَفِّر: الدّاخل في السِّلاح.
(٥٥) الخرص: الحلقة. والفيح: خصب الربيع. (القاموس).
(٥٦) لعل الصواب: .....ولا قاتراً.....يُقال: قَتَرَ عنه: تَنَحَّى. (القاموس).

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٢٥ وأنتَ الذي مِيعادُهُ ونَوالُهُ
مُواشِكَةٌ لَقْطَ الحَمامِ المُنَقِّرِ(٥٧)

٢٦ كأنَّ المعاني وُكِّلَتْ بمُحَمَّدٍ
إذا باعَ جَدّاً غَيْرُهُ قالَ: أشتري

٢٧ فَداولَ مَن كانت مَخِيلَةُ وَعْدِهِ
سَحائبَ مَطْلٍ خُلَّبِ البَرْقِ مُمْطِرِ

٢٨ كذا نِعَمٌ من فيه والنَّاسُ واجدٌ
وفي اليأسِ خَيْرٌ من نَوالٍ مُكَدَّرِ

٢٩ إذا لم يكنْ في طَبْعِكَ الجُودُ فانْتَزِحْ
عن السَّنَنِ المُفضي إلى كُلِّ مَفْخَرِ

٣٠ وكم بينَ ألحاظِ ابنِ نُعمانَ نِعْمَةٌ
تُساقُ بلا وَعْدٍ إلى حالِ مُقْتِرِ

٣١ تَخَيَّرْتُهُ من ذا الأنامِ وإنَّما
عَلامَةُ عَقْلِ المَرْءِ حُسْنُ التَّخَيُّرِ

* * *

٧ ـ وقال يصفُ شمعةً: [من البسيط]

١ قد شابَهَتْني في لونٍ وفي قَضَفٍ
وفي احتراقٍ وفي دَمْعٍ وفي سَهَرِ(٥٨)

* * *

(٥٧) مواشكة: سريعة.

(٥٨) القَضَف: النحافة. وعلَّق الثعالبي على هذا البيت بقوله: هذا تشبيه خمسة بخمسة، وقد أجاد غاية الجودة. وانظر تعليق ابن رشيق في الحاشية رقم ٩.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قافية الميم

٨ ـ قال [= البيني]: خرجتُ إلى المَقْسِ[٥٩] مُتَنَزِّهاً، فلقيتُ جارية سوداءَ مَليحةً، فَتَبعتُها، فقلتُ فيها أَصِفُ ماكان بيننا: [من مجزوء الكامل]

* * *

١ وغَـزالـةٍ غـازَلْـتُـهـا ... فـي الـمَـقْـسِ مـن أولادِ حـامِ
٢ نَـظَـرَتْ بِعَـيـنـي ظـبْـيـةٍ ... ونَـظَـرْتُ من عَيْنَي قَطامي[٦٠]
٣ وتَـبـسَّـمَـتْ فـكأنَّـهـا ... بَـرْقٌ تـألَّـقَ فـي غَـمـامِ
٤ ثُمَّتْ مَشَتْ مَشْيَ الـمَـهـا ... وتَبِعْتُـهـا رَتَـكَ النَّعَامِ[٦١]
....
....

* * *

ب ـ المختلط من شعره

قافية العين

٩ ـ وقال: [من الطويل]

١ لَئِنْ صَدَعَ الدَّهْرُ المُشَتِّتُ شَمْلَنا ... فَلِلدَّهْرِ حُكْمٌ في الجُموعِ صَدُوعُ[٦٢]

---

(٥٩) المَقْس: بين يدي القاهرة على النيل، كان فيه حصن ومدينة قبل بناء الفسطاط. (معجم البلدان ٥/١٧٥).

(٦٠) القَطاميّ: الصَّقر.

(٦١) روايته في اليتيمة: ثم انثنت مثل المها. والرَّتَك: مقاربة الخطو. (القاموس).

(٦٢) روايته في ديوان البستي: .....جمعنا ..... للجموع صَدوع

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٢ وللنَّجم من بَعْدِ الرُّجوعِ استِقامَةٌ وللشَّمْسِ من بَعْدِ الغُروبِ طُلوعُ
٣ وإن نِعْمَةٌ زالَت عن الحبِّ وانْقَضَتْ فإنَّ لها بَعْدَ الزَّوالِ رُجُوعُ(٦٣)
٤ وكنْ واثقاً بالله واصْبِرْ لِحُكمِهِ فإنَّ زَوالَ الشَّرِّ عنكَ سَريعُ(٦٤)

* * *

التَّخريج

رقم القصيدة

١ : القصيدة في:أخبار مصر ٦٨ ـ ٧٠.

٢ : القصيدة في: أَخبار مصر ٧٠ ـ ٧٢.

الأَبيات ٢٠، ٢١، ٢٨، ٣٥ – ٣٨ في :اتِّعاظ الحنفا ١٧٣/٢.

٣ : الأبيات في : يتيمة الدهر ٤٢٩/١، ودخلت ديوان البستي ٢٢٥ ـ ٢٢٦ خطأ.

٤ : القصيدة في: أَخبار مصر ٧٢ ـ ٧٤.

٥ : القصيدة في: أخبار مصر ٧٤ ـ ٧٥.

الأَبيات : ١٤، ١٥، ٢١ :في هامش المغرب لابن سعيد – قسم مصر.

٦ : القصيدة في: أَخبار مصر ٧٦ ـ ٧٧.

٧ : البيت في : العمدة ٥٠٠/١، ويتيمة الدهر ٤٢٩/١، ودخل

---

(٦٣) رجوع ـ بالرفع ـ: خطأ، والوجه: رجوعاً.

(٦٤) وفي أصل ديوان البستي بيتان من هذه القطعة، لم أُثبتهما ؛ واكتفيت بما ورد في ترجمة البيني.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ديوان البستيّ ٢٥٤ خطأً.

٨ : القصيدة في: أَخبار مصر ٧٠، ويتيمة الدهر ١/٤٣٠.
ودخلت ديوان البستي ٢٩٤ خطأً.

٩ : الأَبيات في: يتيمة الدهر ١/٤٢٩ ـ ٤٣٠ (ترجمة البيني). والبيتان الأَول والثاني في أَصل ديوان البستي المخطوط، والثالث والرابع مستدركان من اليتيمة. ديوان البستي ١١٧ ـ ١١٨. والأول والثاني للبستي في زهر الآداب ٣٩٨، والأربعة بلا نسبة في المستطرف ٣١٧. ولاشك في نسبتها إلى البستي.

* * *

مصادر البحث

أَخبار مصر، للمسبحي، تحقيق وليم ميلورد، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٨٠م.

اتعاظ الحنفا للمقريزي، تحقيق د. جمال الشيال و د. محمد حلمي أحمد، ط. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ـ القاهرة ١٩٧١م.

ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، للثعالبي، تحقيق إبراهيم صالح، ط. دار البشائر، دمشق ١٩٩٤م.

جمهرة الأَمثال، للعسكرى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم و غيره، ط. المؤسسة العربية الحديثة ـ القاهرة ١٩٦٤م.

الحيوان، للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، ط. الحلبي ـ القاهرة ١٩٦٥م

ديوان أبي الفتح البستي، تحقيق لطفي الصقال ودريّة الخطيب، ط. مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٩م

ديوان أوس بن حجر، تحقيق د. محمد يوسف نجم، ط. دار صادر ـ بيروت ١٩٦٧م

ديوان تأبّط شراً، تحقيق علي ذوالفقارشاكر، ط. دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ١٩٨٤م

ديوان جرير، بشرح ابن حبيب، تحقيق د. نعمان أمين طه، ط. دار المعارف ـ القاهرة ١٩٨٦م

ديوان ذي الرُّمّة، بشرح الباهلي، تحقيق د. عبد القدوس أبو صالح، ط. مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٢م

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ديوان المتنبي، بشرح ابن عدلان المنسوب إلى العكبري، تحقيق مصطفى السقا وزملائه، ط. الحلبي ـ القاهرة ١٩٧١م

زهر الآداب، للحصري، تحقيق علي البجاوي، ط. الحلبي ـ القاهرة ١٩٧٠م

العمدة في محاسن الشعر وآدابه، لابن رشيق القيرواني، تحقيق د. محمد قرقزان، ط.دار المعرفة ـ بيروت ١٩٨٨م

القاموس المحيط، للفيروزآبادي، تحقيق نصر الهوريني، ط. الحلبي ١٩٥٢م

مجمع الأمثال، للميداني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد،ط. السنة المحمدية ـ القاهرة ١٩٥٥م

المستطرف من كل فن مستظرف، للأَبشيهي، تحقيق عبد الله الطباع، ط.دار القلم ـ بيروت ١٩٨١م

المستقصى في أمثال العرب، للزمخشري، تحقيق عبد الرحمن خان، ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٩٧٧م (مصورة الهند).

معجم الأمثال العربية، تأليف رياض عبد الحميد مراد، ط .جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ الرياض ١٩٨٦م

معجم البلدان، لياقوت الحموي، ط. دار صادر ـ بيروت ١٩٧٧م

المغرب في حلى المغرب ـ قسم مصر ـ لابن سعيد الأندلسي، تحقيق د. شوقي ضيف وغيره، ط. جامعة فؤاد الأول ـ القاهرة ١٩٥٣م

المقفى الكبير، للمقريزي، تحقيق محمد اليعلاوي، ط. دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ١٩٩١م

نقائض جرير والأخطل، لأَبي تمام، تحقيق أنطون صالحاني اليسوعي، ط. المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت ١٩٢٢م

الوافي بالوفيات، للصفدي، تحقيق عدد من الأساتذة، ط. مطابع مختلفة.

يتيمة الدهر، للثعالبي ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط. دار الفكر ـ بيروت ١٩٧٣م.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net